

الحلول السلمية والمتسامحة في حلول النزاع من منظور القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية

Peaceful and Tolerant Solutions to Conflict Resolution from the Perspective of the Holy Qur'an: Thematic Study

Abu Mujadidul Islam

Institut Keislaman Abdullah Faqih (INKAFA) Manyar Gresik
e-mail: mujaddidu@hotmail.com

ملخص البحث

هذا البحث يناقش حول النزاع الاجتماعي من حيث الحلول التي بينها القرآن الكريم على وجه التحديد، ويناقش أيضا حول أنواع النزاع الاجتماعية الدينية سواء النزاعات بين الأديان أو بين الطوائف الدينية. والمنهج المتبع في هذا البحث هو منهج التفسيري الموضوعي في حين أن الطريقة المستخدمة في هذه الدراسة هي طريقة النوعية. ويخلص هذا البحث أن القرآن يعترف بالنزاع على الرغم من أنه يعتبره عاملا من العوامل السلبية في المجتمع، ويعترف بأن النزاع سنة من سنن الله في هذا الكون لأن النزاع أمر يقوم على واقع التنوع والتعددية في هذه الحياة. ويبين لنا القرآن الكريم عددا من الطرق لدفع تلك النزاعات وإدارتها وتحويلها الى علاقة سلمية وصدقة تنقذ المجتمع من الوقوع في النزاع العنيف غير سلمية في كل من الآيات المكية أوالمدينية.

الكلمات المفتاحية: النزاع، الحلول، السلمية، القرآن

Abstract

This paper discusses about the social conflict in terms of solutions, including the Koran specifically, also discusses about the kinds of social and religious conflict, whether conflicts between religions and between religious communities. The approach taken in this research is objective interpretative approach while the method used in this study is a qualitative. This research concludes that the Qur'an recognizes the conflict although it is considered a factor of negative factors in society, and recognizes that the conflict in the laws of God in the universe because the dispute is based on the reality of diversity and pluralism in this life. Al-Qur'an also shows us a number of ways to pay for these conflicts, management and turn it into a peaceful relationship and friendship save society from falling into the conflict in each of the Meccan and Medina verses.

Keywords: tolerance; peaceful; temporary thinking

مقدمة

إن الحياة في المجتمع المتعدد الأديان والثقافات، مثل إندونيسيا وغيرها من الدول في العالم، مظنة قوية لحدوث النزاعات ووقوع الصراعات، فقد حدث فيه نزاع وصراع بين أعضائه كثيرا بأسباب متنوعة ودوافع مختلفة، بل وقد يحدث النزاع بينهم بسبب تافه للغاية. والنزاع في الحقيقة أمر طبيعي في الحياة الاجتماعية، فإذا كان الناس مدنيا بطبعه فالحياة الاجتماعية نزاع وصراع بطبيعتها، فكلما كان اختلاف في فهم لقضية من القضايا أو تنوع في مصلحة من المصالح النفعية فإن النزاع يحتمل أن يحدث، وإنما المؤسف من ذلك أن تقع تصرفات عنيفة وقرارات قاسية في النزاعات أو في محاولة حلها وفضها. فالتعدد في الأديان والثقافات ثروة غالية من ثروات الأمة، ولكنه -في وقت آخر- قد يشكل تهديدا خطيرا لاستقرار الأمن والسلام بينهم، لأن النزاع قد يؤدي إلى تفكك وتفرق في وسط مجتمع متوحد، بل قد يصل الأمر إلى التفكك الوطني الذي يهدد كيان الدولة. وحينئذ لا يختلف اثنان أن الأمر المطلوب وجوده على الفور عند حدوث مثل هذا النزاع هو معرفة أسباب النزاع ودوافعه ثم كيفية حله وخطوات الانتهاء من ذلك النزاع.

إذا نظرنا إلى الدين بمنظور علم الاجتماع فقد يصوره البعض بأنه أفيون يدفع الناس إلى فعل تصرفات شرسة. فكأن الدين شيء مخيف جدا، وذلك لأن الدين قد أصبح في بعض الأحيان سببا من أسباب حدوث النزاعات الشرسة ودافعا من دوافع وقوع الصراعات القاسية، فقد حمل الدين أتباعه إلى الوقوع في الحروب والقتال كما حدث في

¹ انظر ما قاله ابن خلدون في مقدمته: "قالوا وإنما وجب نصب الإمام بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين، ومن ضرورة الاجتماع التنازع لآزدهام الأغراض" المقدمة لابن خلدون، مكتبة الأسرة، القاهرة، ص ٢٨٩.

تاريخ الحياة الإنسانية، ومن ناحية أخرى، إذا نظرنا إلى عقائد جميع الأديان وتعاليمها وجدنا أنها تحرض على التراحم والمحبة وتحارب كل ما يتنافى مع القيم الإنسانية، ويحاول الدين أن يبعد أتباعه عن أسباب النزاع بجميع أشكاله سلمية كانت أو عنيفة كلما أمكن ذلك^٢. وبعبارة أخرى، عندما أراد باحث أن يبحث في الدين كتفويضات وتطبيقات من أتباعه ويقاربه مقارنة سوسولوجية اتضح أن التعدد الديني والتنوع الثقافي دافع من دوافع وقوع النزاع، ولكن عندما يبحث باحث آخر عن الدين كعقيدة وإيديولوجية في المجتمع وأنه يحرض على الرحمة ويجب العفو، بل ويعدّ حلولاً لفض النزاع ويسعى إلى توفير القرار بطريق سلمي، اتضح أن الدين ما زال يحتلّ مكانة استراتيجية لأجل تقديم حلول للنزاع وتقديم قرار سلمي بشؤون أتباعه في الحياة الاجتماعية سواء كانت متعلقة بأتباعه خاصة أو بأتباع الأديان الأخرى عامة.

إن الإسلام يوجب أتباعه ويحث الناس جميعاً أن يعيشوا في تراحم وتسامح وأن يحبوا الأمن والسلام. فالإسلام في مصادره الرئيسية - وخاصة القرآن الكريم والحديث الشريف - يتمثل بوضوح على أنه دين الرحمة وأنه دين لم ينزله الله تعالى إلى الأرض إلا بروح التسامح وحقيقة السلام. والحاجة ماسة إلى توضيح الإسلام كأيديولوجية تقدم

^٢ انظر على سبيل المثال ما قاله:

Thomas F. O' dea, *The Sociology of Religion*, Jakarta: Rajawali Press, 1990, p. 139.; Johan Efendi, "Dialog Antar Umat Beragama, Bisakah Melahirkan Teologi Kerukunan?"; *Prisma*, No. 5 June 1978, Jakarta: LP3ES, p.13.

^٣ أصحاب المذهب الوظيفي في علم الاجتماع (functionalism of sociology) يرون أن الدين أمر حيوي وله دور كبير في حياة الإنسان الاجتماعية، انظر على سبيل المثال ما قاله:

Barbara Hargrove, *The Sociology of Religion; Classical and Contemporary Approaches*, Illinois, 1997; Elizabeth K. Nottingham, *Religion and Society*, (Jakarta: Rajawali Press, 1992).

روح المسامحة وتخطط حلولاً سلمية عند حل النزاعات وفض الصراعات حتى يُتصور الإسلام بصورته الصحيحة، ولكنه للأسف الشديد يقلّ من يهتم بذلك كما لم يكثر من يبحث عن طرق الإسلام في حل النزاع الواقع بعيداً عن القساوة واستخدام الأسلحة، وخاصة من وجهة نظر القرآن الكريم. وقد بدأ يظهر عديد من النزاعات الدينية الناشئة من قلة الوعي بتلك الأيديولوجية، سواء كانت بين أتباع المذاهب الإسلامية أنفسها أو بين أتباع الأديان المختلفة. إن أيديولوجية السلام يجب أن تعيش وتتطبع في سلوكيات المسلمين وحياتهم اليومية حتى نشأت بينهم أسرة متسامحة وواعية بتعاليم كتابه العزيز، فتكونت منها مجتمعات متسامحة تحل مشاكلها وتفض نزاعاتها بطرق سلمية، ثم قامت دولة مسالمة تستطيع أن تقدم حلولاً بأسلوب غير عنيف لرعيته المتنازعة، وأخيراً صار هذا العالم يسود فيه سلام وأمان واطمئنان.

انطلاقاً من ذلك فإن هذه الورقة القصيرة تحاول أن تقدم صورة من الصور القرآنية عن الإسلام بصفته دين السلام ودين السمحة، وذلك بتوضيح أن الآيات القرآنية قد اشتملت على عقائد بيّنة وقواعد ممنهجة لحلّ النزاعات الواقعة بين المسلمين أنفسهم وبين مجتمعات الأديان الأخرى بطريق سلمي، وخاصة بين المجتمعات صاحبة الثقافات المتعددة. والمنهج المستخدم في هذه الورقة منهج التحليل النوعي والموضوعي^٤.

^٤ سمي المنهج هنا موضوعياً لأنه يتم من خلال جمع آيات القرآن الكريم وفقاً لموضوع معين، وقد يهتم بأسباب النزول، والمفردات، وسياق الآيات والأحاديث التي تدعمها أيضاً. انظر: عبد الحفي الفرمولي، البناية في التفسير الموضوعي، مطبعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٥٢. وسمي المنهج أيضاً منهج النوعي لأن هذه الورقة تنطلق من الأدلة للحصول على نظرية قرآنية كاملة، ولأن الباحث هنا يشارك مباشرة في عملية التحليل. انظر:

Lexy J. Moleong, *Metodologi Penelitian Kualitatif* (Bandung: Remaja Rosdakarya, 2002), p. 61.

مفهوم النزاع في القرآن الكريم

ورد في القرآن الكريم كلمة النزاع أو التنازع في ثمانية مواضع:

- ١- وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ مُحْسِنُهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
- ٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا
- ٣- إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِكِ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ^٥
- ٤- وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ^٦
- ٥- وَكَذَلِكَ أَخْذَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَبَالُوا أَبَوًا عَلَيْهِمْ بُنِيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا^٧
- ٦- فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا السَّجْوَى^٨

^٥ سورة آل عمران، ١٥٢.

^٦ سورة النساء، ٥٩.

^٧ سورة الأهل، ٤٣.

^٨ سورة الأهل، ٤٦.

^٩ سورة الكهف، ٢١.

^{١٠} سورة طه، ٦٢.

- لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ^{١١}

٨- يَنْتَازِعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعُوفٍ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٍ^{١٢}

وإذا تأملنا هذه الآيات القرآنية لاحظنا أن الكلمة وردت في مواضع كثيرة مقترنة بكلمات ذات معانٍ سلبية مثل الفشل والتكذيب وذهاب السمعة الطيبة وما إلى ذلك، يقول الأصفهاني: والتنازع والمنازعة المجاذبة ويعبر بهما عن المخاصمة والمجادلة.^{١٣} ومن المعاني السلبية التي تضمنتها الكلمة معنى الوهن والحبن وانحطاط القوة مادية كانت أو معنوية، كما يمكن أن نلاحظ أن الخطاب القرآني قد ربط بين هذه المعاني، ورتب بعضها على بعض، فقوله تعالى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) نهي من الله تعالى عن النزاع، ويدل على أن الفشل سواء للأفراد أو للأمة إنما كان مرجعه إلى التنازع والاختلاف، والنهي عن النزاع يقتضي النهي عن أسبابه ودوافعه من شقاق واختلاف وغيرها، وكذلك أمر من الله تعالى بالحفاظ على الأمن والسلام.

هذا ما يشير إليه ظاهر الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة النزاع، ولكن الحقيقة أن سلبية النزاع لم تكن على إطلاقها، لأن النزاع أو التنازع قد يحدث في ظروف معينة أن يتحول إلى عامل مدمر في كيان عدد من الجماعات، فيكون نزاعاً سلبياً، ولكنه في ظروف أخرى قد يتحول إلى عامل إيجابي متكامل ويتحول إلى قوة صلبة في عملية الصعود إلى المستوى الأفضل لعدد من المجتمعات^{١٤}. والنزاع في الحياة الاجتماعية عملية طبيعية

^{١١} سورة الحج، ٦٧.

^{١٢} سورة الطور، ٢٣.

^{١٣} أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٧، ص ٤٢٩.

^{١٤} George Ritzer dan J. Michael Ryan (ed), *The Concise Encyclopedia of Sociology*, (UK: Blackwell Publishing, 2011), p. 80.

اجتماعية، سواء كان النزاع بين فردين أو أكثر، أم كان بين مجموعتين أو أكثر. وفي حالة وقوع النزاعات يسعى كل واحد من الطرفين إلى التخلص من الطرف الآخر بتنمية مهاراته وإجادة قدراته لتعجيز الطرف الآخر. يقول ابن خلدون: ومن ضرورة الاجتماع التنازع لزدحام الأغراض، والنزاع أو التنازع قد يفضي إلى المقاتلة وهي تؤدي إلى الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس^{١٥}. والتنازع ينشأ من اختلاف في دوافع فرد من الأفراد أو مجموعة من المجموعات أو اختلاف في تصوراتها و أهدافها ومتطلباتها، فيؤدي ذلك في الأخير إلى اتخاذ قرارات متناقضات، وقد خلق الله تعالى الناس مختلفين، يقول تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)^{١٦}. يقول محمد عبده في تفسير هذه الآية: هذا بيان سنة الله تعالى في اختلاف الأمم في الدين كاختلافهم في التكوين والعقول والفهوم^{١٧} فالخلاف قد يكون رحمة إن حسن التدبير أو مصيبة إن ساء التفعيل، فقد يؤدي التنازع والخلاف إلى التنافس الإيجابي لحياة الإنسان بين المجتمع، ويتحول إلى التعاون الذي أمر الله تعالى به، ولكنه أيضا قد يفضي إلى التقاتل والحرب وغيرهما من الأمور السلبية كما قاله ابن خلدون. فالخلاصة في حقيقة المسألة ترجع إلى كيفية سياسة الاختلاف وطريقة حل النزاع ومنهج الانتهاء من المخاصمة والعداوة والوقوف أمام هذه الظاهرة الواقعة في حياة البشر موقفا صحيحا سليما.

والنزاع قد يكون نزاعا سلميا ونزاعا عنيفا غير سلمي، والفرق بينهما هو في موقف الأطراف المتنازعة ومحاولة حل تلك النزاعات، فإذا استخدم نوع من الأسلحة عند الانحلال والانتهاج منه فهو نزاع عنيف وغير سلمي^{١٨}، والإسلام –

^{١٥} ابن خلدون، المقدمة، مكتبة الأسرة، القاهرة، ص ٢٨٩.

^{١٦} سورة هود، ١١٨.

^{١٧} محمد عبده، تفسير المنار، طبعة دار المنار، القاهرة، ١٩٤٧، ج ١٢، ص ٢٤٨.

^{١٨} Ruth A. Wallace and Alison Wolf, *Contemporary Sociological Theory*, (USA: Prentice-Hall, 1995), p. 149.

كما هو معنى من معاني اسمه (الإسلام والسلام)- يقدم الأمن والسلام في جميع الأحوال ويسلك الطريق السلمي في حل النزاعات والصراعات، وذلك يتمثل جيدا في أخلاق الإسلام وآدابه عند الاختلاف، وكيف الإسلام يمنع الإكراه في الدين قال تعالى (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)^{١٩} والإكراه حمل الغير على قول أو فعل لا يريده عن طريق التخويف أو التعذيب أو ما يشبه ذلك، والتدين هو إذعان قلبي، واتجاه بالنفوس والجوارح إلى الله رب العالمين بإرادة حرة مختارة، فإذا أكره عليه الإنسان إزداد كرها له ونفورا منه، فالإكراه والتدين نقيضان لا يجتمعان، ولا يمكن أن يكون أحدهما ثمرة للآخر،^{٢٠} فإذا منع الإسلام الإكراه فهل يعقل أن يجوز استعمال الأسلحة لحل النزاع والصراع الديني، إنه غير معقول.

النزاع وطريقة حله في القرآن الكريم

إن النزاعات والصراعات في الحياة الإجتماعية يمكن تقسيمها إلى نوعين أساسيين من حيث مستوى النزاع. النوع الأول: النزاع بين الأفراد داخل مجموعة واحدة، وهو النزاع الذي يقع بين المسلمين أنفسهم أو بين أتباع دين معين، ويحدث هذا النزاع عندما يتصور كل من المتنازعين آراء مختلفة حول موضوع واحد، وهذا النزاع قد يكون بدافع طبيعي أو اختلاف في وجهة نظر أو نحو ذلك، والنوع الثاني: النزاع بين أصحاب دين مع أصحاب دين آخر، وهذا النزاع يحدث لأن أتباع كل دين له عصبية وأن كلا منهم يختلف في التصورات العامة عن الحياة وأهدافهم ومتطلباتهم المتزايدة أو نحو ذلك.

و حل النزاع (resolution conflict) مصطلح سوسيولوجي قد تختلف عبارات

^{١٩} سورة البقرة، ٢٥٦.

^{٢٠} محمد السيد طنطاوي، ٢٣٤/١.

العلماء في شرحه وبيان المراد به، فيقال هو الجهود المبذولة لمعالجة أسباب النزاع ومحاولة بناء العلاقات الجديدة المستمرة لفترة طويلة بين المجموعات، ويقال أيضا هو حسم النزاع وحل الخلافات مع الآخرين، وهو جانب مهم لبناء المجتمع وأخلاقه، وذلك يتطلب مهارة على المفاوضة و تطوير حساسية العدالة بين المتنازعين، كما يقال أيضا هو مصطلح للتعبير عن مجموعة من الأفكار والطرق المستخدمة للحد من النزاع.^{٢١} والمقاربة لحل النزاع مسايرة مع نظرية النزاع وأبعاده، والمدار في نظريات حل النزاع يكون على خطوات المعالجة له، وأهم خطوة هي تحليل مصدر النزاع وسببه الرئيسي،^{٢٢} والمعالجة من الخارج تسمى بالتدخل وهو ما يقوم به أطراف تتوسط في النزاع بغرض الوصول إلى حل أو نتيجة مقنعة، وبعبارة أخرى اشترك طرف خارجي غير مشترك في النزاع ويكون غرضه المساعدة في وصول الأطراف المشتركة في النزاع إلى الحل، وعادة ما يكون المتدخل حياديا وليس له مصالح شخصية تؤثر فيما يتخذه من قرارات لتتحاز لأحد الأطراف، ويأخذ التدخل أحد الأساليب الثلاثة، الأولى: إدارة النزاع (conflict management) والغرض منها مساعدة الأطراف المشتركة في النزاع في الوصول إلى وجهة نظر أو سلوك يعمل على وقف قيام أطراف النزاع بسلوك معاد أو عنيف، ولا يخاطب التدخل في هذه الحالة مصادر الصراع ولكن يركز على تعديل سلوك النزاع، ويستهدف بعض موضوعات النزاع بالقدر الذي يضمن عدم حدوث سلوك معادي أو عنيف من الأطراف المشتركة في النزاع، وعادة تستخدم هذه الطريقة في خفض درجة تعقيد السلوك، والثانية:

^{٢١} انظر: فض النزاعات https://ar.wikipedia.org/wiki/فض_النزاعات التشفيد في ١٥ يوليو ٢٠١٥.

^{٢٢} Sadik Kirazli, "Conflict and Conflict Resolutions in the Pre-Islamic Arab Society", *Journal Islami Studies*, Vol. 50, No. 1, 2011, p. 40.

حل النزاع (conflict resolution)، والغرض منه مساعدة الأطراف المشتركة في النزاع في فهم حاجات الأطراف الأخرى ومصادر النزاع وموضوعاته، والعمل على إيجاد حلول للنزاع، وهذا يكون بعد إدارة النزاع، والثالثة: تحويل النزاع (conflict transformation) والغرض منه محاولة تحويل علاقة الأطراف المشتركة في النزاع الى علاقة إيجابية من خلال تغيير علاقتهم من علاقة النزاع إلى علاقة ودية عن طريق استهداف مصادر النزاع وموضوعاته، والغرض الآخر هو مساعدة الأطراف المشتركة في النزاع على اكتساب سلوكيات النزاع صحيحة تمكنهم من التعامل مع النزاعات بمفردهم.^{٢٣}

أما القرآن الكريم فإنه يستعمل كلمة "الإصلاح" غالباً في التعبير عن حل النزاع، يقول الله تعالى (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)^{٢٤} وقال تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)^{٢٥} وقال (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)^{٢٦} وقال أيضاً (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)^{٢٧} وغيرها من الآيات القرآنية، ومعنى الإصلاح بين الناس التآليف بينهم بالمودة إذا تفسدوا من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف.^{٢٨} وضدها كلمة "الفساد"

^{٢٣} زياد الصادي، حل النزاع، جامعة السلام التابعة للأمم المتحدة، الأردن، ٢٠١٠، ص ٢٧.

^{٢٤} سورة النساء، ١١٤.

^{٢٥} سورة الأنفال، ١.

^{٢٦} سورة الحجرات، ٩.

^{٢٧} سورة الحجرات، ١٠٠.

^{٢٨} شهاب الدين الأوسبي، المرجع السابق، ٢٢٧/٤.

قال تعالى (الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)^{٢٩} والإصلاح بهذا المفهوم ليس مجرد إدارة النزاع (conflict management) الذي غايته إيقاف سلوك عنيف من المتنازعين، ولكنه يشمل حل النزاع (conflict resolution) الذي يهدف إلى فهم كل طرف وموضوعات النزاع، كما يشمل أيضا تحويل النزاع (conflict transformation) إلى علاقة المودة والمحبة بين المتنازعين. وقد حض القرآن على الإصلاح بين الناس سواء أكانوا جماعات أم أفرادا لأن التخاصم والتنازع يؤدي إلى انتشار العداوات والمفاسد بين الناس.^{٣٠} فإن لم يتدخل أفراد المجتمع بحل النزاعات التي تقع بينهم فإن الفساد سيأتي إليهم لا محالة. ويطلب القرآن الكريم بحل النزاع لكي تستقيم الحياة في المجتمع، وحقيقة حل النزاعات إنما هي محاولة لاستعادة التوازن في حياة البشرية.

إن النزاعات في القرآن الكريم بالنظر إلى نطاقها وأبعادها متنوعة، ولكنها تنقسم إلى قسمين أساسيين باعتبار أبعاد المشتركين في النزاع حيث إن في المجتمع تنوعا وتعددا في الأديان والثقافات، وهما النزاع بين المسلمين أنفسهم، والنزاع بين المسلمين وغيرهم، وسنشرحهما بالأمثلة مع بيان أسلوب القرآن الكريم في حله والخروج منه عند كل قضية:

الوسائل القرآنية في حل النزاع داخل دين واحد

قد وقع المسلمون الأولون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزاع، وفي تلك الحالة كان القرآن الكريم أرشد إلى وسائل لإدارة ذلك النزاع وحله ثم تحويله إلى علاقة ودية بين هؤلاء المسلمين، وتلك الوسائل كما يلي:

^{٢٩} سورة الشعراء، ١٥٢.

^{٣٠} محمد السيد طنطاوي، ١٣٤/٣.

الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

كان الرسول صلى الله عليه وسلم في زمان نزول الوحي هو المرجع الوحيد للمسلمين في جميع أمورهم وشؤونهم سواء في حالة سلمهم أو عند تنازعهم، فلم يكن في عهده ما يؤدي إلى النزاع إلا كان صلى الله عليه وسلم يأتي بحلول من الله تعالى أو من عند نفسه باجتهادات واستنباطات من الوحي، وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فكانت السنة النبوية مثالا جيدا لما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم محل النزاعات التي حدثت بين مجتمع الصحابة، فالمرجعية إنما تكون إليه، وقد أمر الله تعالى بذلك في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)^{٣١} أى فردوا ذلك الحكم أو الأمر الذي اختلفتم فيه -أيها المؤمنون- إلى كتاب الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن تسألوه عنه في حياته، وترجعوا إلى سنته بعد مماته.^{٣٢}

لقد تشاجر عمر بن الخطاب مع هشام بن الحكم في مسجد من مساجد المدينة حول قراءة أحرف القرآن الكريم، فكاد عمر بن الخطاب يتعجل عليه قبل أن ينتهي من صلاته، ثم بعد أن سلم هو وهشام من صلاتهما أسرع عمر إلى هشام فلبه عمر -أي جمع ثيابه عند صدره- ثم جره بردائه فيأتي به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وعندما أتيا إليه صلى الله عليه وسلم حكم بينهما وحل نزاعهما^{٣٣}. نعم، كان أسلوب القرآن في أول

^{٣١} سورة النساء، ٥٩.

^{٣٢} محمد السيد طنطاوي، المرجع السابق، ٢٤٣/٣.

^{٣٣} الحديث كما أخرجه مسلم في باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم ١٩٣٦: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أُقْرُؤُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَقْرَأْنِيهَا فَكِدْتُ أَنْ أُعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ثُمَّ لَبِثْتُهِ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أُقْرَأَتْ بِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أُرْسِلُهُ أَقْرَأْ ». فَقَرَأَ الْقُرْآنَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَكَذَا أُتْرِلَتْ. ثُمَّ قَالَ لِي أَقْرَأْ. فَقَرَأْتُ فَقَالَ « هَكَذَا أُتْرِلَتْ لِي هَذَا الْقُرْآنَ أُتْرِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَقْرَأُوا مَا تَبَسَّرَ مِنْهُ.

خطوته لحل النزاع هو الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. إن الآية المذكورة تبين لنا بيانا واضحا أن المرجعية في حل النزاع تكون للقرآن الكريم ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهنا يجب على كل فرد من أفراد المجتمع تطبيق جميع ما فيهما بما يطابق مقاصد الشريعة وتعاليم الإسلام السمحة مع التمسك بمبدأ "لا إكراه في الدين". أما النزاع بين غير المسلمين من أهل الكتاب فقد كانت المرجعية لهم إلى كتابهم الذي أنزله الله تعالى إلى نبيهم عليه الصلاة والسلام.

الموقف المنفتح للصواب

إذا نظرنا إلى النزاعات بين الصحابة رضوان الله عليهم لاحظنا أن الدافع فيها هو اختلاف قدر معرفتهم وسعة علومهم ببعض مسائل الدين، فقد يعرفها البعض دون الآخر، كما في مسألة قراءة أحرف القرآن الكريم السبعة، وأحيانا كان الدافع هو اختلافهم في فهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة" فأدرك الصحابة أذان العصر في الطريق، فبعضهم لا يصلي حتى يأتي أرض بني قريظة، والبعض الآخر يصلي أثناء الطريق حيث لم يأخذ بظاهر النهي بل استنبط معنى آخر، فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما فعله الفريقان صوّبهما، ولا خطأ من اجتهد برأيه وهو مؤهل له،^{٣٤} فمن مثل هذا الاختلاف علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم المساحة والموقف المنفتح للصواب، وعلمنا أن كلا من الاجتهادين صحيح وصواب.

العفو والصفح

ومن طرق حل النزاع وتحويله إلى علاقة ودية بين الأطراف المتنازعة العفو والصفح، بدل الانتقام والثأر، فقد أبدل القرآن الكريم عادة الثأر والانتقام بالعفو والغفران، ففيه عديد من الآيات التي تحث وتشجع على العفو والغفران عند وقوع المنازعات

^{٣٤} الحديث أخرجه البخاري، باب صلاة الطالب والمطلوب رابعا وإيماء، رقم ٩٠٤.

والصرعات، ومن أسلوب القرآن الكريم في تثبيت العفو أن الله تعالى يغفر لمن عفى وغفر غيره، وذلك ما قاله تعالى في شأن أبي بكر الصديق عند المنازعة بحديث الإفك لبنته عائشة رضي الله عنها (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^{٣٥} كان أبو بكر الصديق أقسم أن لا يعطى مسطح بن أثاثة شيئاً من النفقة أو الصدقة، وكان مسطح قريباً لأبي بكر، وكان من الفقراء الذين تعهد أبو بكر رضي الله عنه بالإنفاق عليهم لحاجتهم وهجرتهم وقرباتهم منه، فلما تكلم المنافقون في المدينة عن عائشة رضي الله عنها تكلم بعض المسلمين معهم، وكان مسطح منهم، فترح أبو بكر فحلف على أن لا يعطيه شيئاً من أمواله، فنزلت الآية تحريضا على العفو ومقابلة الإساءة بالإحسان، فبالعفو والصفح يفضّ النزاع، وهو أسلوب فعال في حل النزاع.

إرسال الحكم المحايد

هذه الطريقة ذكرها القرآن الكريم بخصوص النزاع بين الزوجين، فقال تعالى (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَانْبِعْثُوا حُكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)^{٣٦} أقيمت العلاقة الزوجية على المودة والرحمة وعدم تناسي فضل أحد الزوجين، والله تعالى يشير إلى عقد النكاح بأنه ميثاق غليظ ومطلوب احترامه. والآية تدل على وجوب إرسال الحكّمين عند نزاع الزوجين، وهو النزاع المستمر الذي يؤدي إلى الشقاق، وهذه الآية أصل في جواز التحكيم في سائر الحقوق أيضاً،^{٣٧} والحكم

^{٣٥} سورة النور، ٢٢.

^{٣٦} سورة النساء، ٣٥.

^{٣٧} الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ٤١٢/٣.

هنا فيصل يتدخل في النزاع فينظر آراء كل من الطرفين المتنازعين أو الأطراف المتنازعة ليأتي بأحسن تعليل وتحليل.

خفض الصوت عند التنازع

ومن وسائل القرآن الكريم في حل النزاع بين المسلمين عدم رفع الأصوات عند التنازع، فعلى المتنازعين خفض الصوت أثناء النزاع، لأن رفع الصوت لا يزيد بينهما إلا انسدادا للحصول على سبيل للخروج من النزاع، فقد نزل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)^{٣٨} في شأن عمر بن الخطاب عند ما تنازع مع أبي بكر الصديق في مسألة جماعة قدموا إلى المسلمين فيخلفتان في الرأي والفكرة وتنازعا حتى رفعا صوتهما، وكان ذلك أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، روى البخاري: كاد الخَيْرَانُ أَنْ يَهْلِكَا، أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكِبَ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَأَشَارَ الْآخَرَ بِرَجُلٍ آخَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي. قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ.^{٣٩} هذه الآية تمنع رفع الصوت أمام الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة عند النزاع، ولعله يدخل في معنى رفع الصوت الجهر بالسوء.

هذه الوسائل طرق القرآن الكريم لحل النزاعات التي قد حدثت فعلا بين المسلمين، وفي القرآن الكريم أيضا وسائل وطرق يمكن منها الحفاظ على استقرار

^{٣٨} سورة الحجرات، ٢.

^{٣٩} أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، ٤٥٦٤.

المجتمع بلا نزاع ولا صراع سلمي أو عنيف بل يعيش أعضاؤه في أمان وسلام. وهذه الوسائل هي كما يلي:

تكييف الجو الإيجابي

ومما يرسمه لنا القرآن الكريم في طريق الحفاظ من الوقوع في النزاع تكييف الظروف الإيجابية، فلا إشاعة للأخبار الكاذبة ولا إخبار لما لم يتحقق ثبوته فإذا سمع خبراً من الأخبار تبين ذلك الخبر من صاحبه قبل أن ينقله إلى الآخر، وذلك معنى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)^{٤٠} والتبَيَّن هو تطلب البيان وهو ظهور الأمر، والتثبت التحري وتطلب الثبات وهو الصدق،^{٤١} فمن أراد أن يحل النزاع وفهم القضية من سائر الأطراف المتنازعة فلا يلوّث الجوّ ولا يكدر نقاء الهواء بإشاعة الشائعة الكاذبة، لأن الحق لا يظهر واضحاً في مثل الجوّ السلبى. وقد حدّر القرآن الكريم في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)^{٤٢} يقول ابن عاشور: إن شأن المؤمن أن لا يجب لإخوانه المؤمنين إلا ما يجب لنفسه، فكما أنه لا يجب أن يشيع عن نفسه خبر سوء كذلك يجب عليه أن لا يجب إشاعة السوء عن إخوانه المؤمنين،^{٤٣} وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين بالصدق أو بالكذب مثيرة للتنازع.

تطهير النفوس

من أجل حماية المسلمين من الوقوع في النزاع وعلاج حالة الواقعين فيه حث القرآن

^{٤٠} سورة الحجرات، ٦.

^{٤١} الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ٥٢/١٢.

^{٤٢} سورة النور، ١٩.

^{٤٣} المرجع السابق، ٤٥٤/٧.

الكريم إلى تطهير النفس وتنقية القلوب من الأمراض الهادمة للعلاقة الحميمة بين المسلمين، وفي مقدمة هذا العلاج اجتناب سوء الظن، وقد صور القرآن الكريم هذا المرض بصورة تنفر منه العقول السليمة، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)^{٤٤}. ومن مظاهر تطهير النفس الاعتراف بالقصور والنقص وعدم الكمال، ولذلك لما وقع يوسف عليه الصلاة والسلام في ورطة النزاع مع امرأة الملك واعترفت بالخطأ فقالت (وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)^{٤٥} ولو اعترفت بالقصور والنقص في أول الأمر ما وقع النزاع بيوسف عليه الصلاة والسلام، والذي حملها إلى الكذب ودعوى الزور ليوسف عليه الصلاة والسلام لم يكن إلا هواها وشهواتها، فإن النفس البشرية لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء إلا نفسا رحمها الله وعصمها من الزلل والانحراف.

التعاون والاعتصام بحبل الله

ومما يحمي أعضاء المجتمع الإسلامي من الوقوع في النزاع التعاون الإيجابي وتقوية العلاقة الربانية بينهم، والقرآن الكريم يأمر أمته بذلك، يقول الله تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)^{٤٦} والتعاون الإيجابي هو التعاون على الخير والبر، وكأن الآية تقول، أيها المؤمنون تعاونوا على كل ما هو خير وبر وطاعة لله تعالى، ولا تتعاونوا

^{٤٤} سورة الحجرات،، ١٢.

^{٤٥} سورة يوسف، ٥٣.

^{٤٦} سورة المائدة، ٢.

على ارتكاب الآثام ولا على الاعتداء على حدوده. فإن التعاون على الطاعات والخيرات يؤدي إلى الفلاح والسعادة، أما التعاون على ما يغضب الله تعالى فيؤدي إلى الشقاء والصراع فيما بينكم. فإذا عاش بينهم روح التعاون كان التمسك والاعتصام بدين الله الإسلامي أمراً نافعا ومساعدة لاستقرار ظروف المجتمع، وقد أمر الله المسلمين بذلك (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)^{٤٧}.

الوسائل القرآنية في حل النزاع بين المجموعات

كان المسلمون في مكة قبل الهجرة إلى المدينة عاشوا في اضطهاد من الكفار، والكفار لم يكونوا على مجموعة واحدة، بل كانوا على قبائل، فكل قبيلة تفتخر بقبليتها، لا بوثنيتها. فلذلك كان لكل قبيلة إله من الحجر أو الشجر يعبدونه، أما المسلمون في المدينة فكانوا مجموعة من المجموعات الموجودة فيها، فهم كانوا يعيشون مع اليهود والنصارى، وكل مجموعة يفتخر بدينه، ففي مثل هذا المجتمع يحتمل أن يحدث النزاع كثيرا، لأن المعتقدات تختلف والتطلعات والأهداف مختلفة أيضا، وأسباب النزاع ودوافعها موجدة فيه، فهذا المجتمع في أشد الحاجة إلى طرق أكثر لحل نزاعاته من المجتمع الذي يتكون من مجموعة واحدة. وإذا نظرنا إلى الآيات القرآنية التي نزلت في المدينة بعد الهجرة نجد أنها تقدم حلولاً أخرى للنزاعات التي تحدث في المجتمع المتعدد الأديان مثل مجتمع المدينة، زيادة على ما سبق، وهي كما يلي:

^{٤٧} سورة آل عمران، ١٠٣.

تثبيت سنة التنوع والاختلاف

نزلت آيات قرآنية كثيرة تثبت أن التنوع والاختلاف في هذا العالم أمر طبيعي وسنة من سنن الله تعالى، والتنوع آية من آيات الله تعالى، يقول الله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)^{٤٨} وقال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ)^{٤٩} وقال أيضا (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)^{٥٠} هذه الآيات المكية تقدم قاعدة عامة لسنة التنوع والتعدد، ومعناها أنه لو شاء الله تعالى لجعل الناس كلهم مؤمنين مثل الملائكة الذين على فطرة الإيمان والطاعة والتوحيد، قال تعالى (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)^{٥١} هذه الآيات تثبت أن الدستور في هذه الحياة الدنيوية هو أن الوحدة لله وأن التعدد والتنوع لجميع الخلق. ثم بعد أن تأسست قاعدة التنوع والاختلاف في مكة نزلت في المدينة تثبت وتنظم هذا التنوع في خطوط واضحة، فيقول الله تعالى (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)^{٥٢} نعم، قد جعل الله لكل أمة وكل دين شريعة وطريقة للسير في هذه الحياة الدنيا فلا إكراه ولا عنف في

^{٤٨} سورة فاطر، ٢٧-٢٨.

^{٤٩} سورة الروم، ٢٢.

^{٥٠} سورة هود، ١١٨.

^{٥١} سورة النحر، ٦.

^{٥٢} سورة المائدة، ٤٨.

الدين ولا باسم الدين، فإذا وقع التنازع فالحكم على وفق ما أنزله الله تعالى في شريعتهم كما فعله أنبياءهم الأولون.

الوفاء بالعهد

ومن الحلول التي تستخدم لحل النزاع ولحفظ الأمن والسلام في المدينة الوفاء بالعهد والمواثيق، وهو سمة من سمات المؤمنين وسبيل ناجح للحفاظ على استقرار حالة المجتمع، وهو طريق لحل النزاع الواقع فيه، فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون في المدينة مثالا ممتازا في هذا الأمر، والله تعالى أوجب على المسلمين الوفاء بالعهد والالتزام به واحترام المواثيق، فيقول تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾^{٥٣} ويقول أيضا ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^{٥٤} فالإسلام يمقت الغدر بأي صورة من الصور، ولأي غرض من الأغراض، ذلك لأن الميثاق الذي يعقده المسلمون لا ينعقد أمام الناس خاصة، بل ينعقد أيضا بينهم وبين الله تعالى، لأنهم قد جعلوا الله تعالى شهيدا وكفيلا على عهودهم يقول تعالى ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^{٥٥} هذه الآيات مكية، وهي ترسم أخلاق المسلمين كيفما كانوا، ثم يؤكد الله تعالى هذا الأمر بالوفاء بعد أن كان المسلمون في المدينة، فيقول تعالى ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾^{٥٦} فالوفاء بالعهد فرض وواجب حتى مع غير المسلمين، ويحرم

^{٥٣} سورة النحل، ٩١.

^{٥٤} سورة الإسراء، ٣٤.

^{٥٥} سورة النحل، ٩١.

^{٥٦} سورة الأهل، ٧٢.

نقضها حتى ولو كان لنصرة المسلمين.

الحوار

نزلت في المدينة آيات تبين أن الحوار وسيلة قرآنية لحل النزاع. في الحوار يتبادل الأطراف المتنازعة في المعلومات والأفكار والآراء، وبالحوار يتعرف على وجهات نظر الآخرين، ويتأمل عنها، وهو وسيلة من وسائل البلاغ والدعوة إلى الحق، والتغيير الفكري، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه يفتح باب التفاهم بين أبناء الأديان والاتجاهات والثقافات المختلفة. وهو كوسيلة لحل النزاع لا بد أن يستلزم المتحاورون فيه أسلوب الوضوح التام، وعدم خلط الحق والباطل، وإذا لم يحصل من الحوار اتفاق من الأطراف المتنازعة فليس ذلك سببا للتفرق وعدم التعاون بينهم، قال الله تعالى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)^{٥٧} وهي كلمة لا تختلف فيها العقول السليمة، لأنها كلمة عادلة مستقيمة ليس فيها ميل عن الحق. والحوار يجب أن يكون بطريقة حسنة كما أرشد الله تعالى إليه بقوله (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)^{٥٨}. والحوار الناجح يكون على حسن الإقناع، وعلى الرفق واللين وسعة الصدر، فإن ذلك أبلغ في إطفاء نار الغضب، وفي التقليل من عنادهم، وفي إصلاح شأن أنفسهم، وفي إيمانهم بأنك إنما تريد الوصول إلى الحق دون أى شىء سواه.^{٥٩}

^{٥٧} سورة آل عمران، ٦٤.

^{٥٨} سورة النحل، ١٢٥.

^{٥٩} محمد السيد طنطاوي، المرجع السابق، ٢٨٣/٥.

الدفع بالتي هي أحسن

ومما يرسمه القرآن الكريم لحل النزاع أن يتدافع المتنازعون بالأفعال الحسنة والمواقف الإيجابية، يقول الله تعالى (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)^{٦٠} هذه الآية مكية، وكانت عداوة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ ذروة القساوة، وهذه الآية تأمره بمواجهة النزاع بالحسنة، والآية إرشاد منه تعالى إلى ما يجب أن يتحلى به عباده المؤمنون، أي ما دامت الخصلة الحسنة لا تتساوى مع الخصلة السيئة، فعليك أيها المسلم أن تدفع السيئة إذا جاءتك من المسىء، بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات، بأن تقابل ذنبه بالعفو، وغضبه بالصبر، وقطعه بالصلة وفضاظته بالسماحة.^{٦١} فإذا كان ذلك مع المشركين فكيف بأهل الكتاب الذي لهم علاقة قديمة في مصدر كتبهم مع القرآن. وإذا كان كل طرف يتدافع مع الآخر بطريق أحسن، كان النزاع يؤدي إلى ما هو أصلح لكل طرف منهما، والتدافع سنة من سنن الله تعالى في العالم يبين الله تعالى هذه الحقيقة (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)^{٦٢} هذه الآية المدنية تبين أنه لولا سنة التدافع بين الناس لعم الفساد والخراب بين أصحاب الأديان والمذاهب والاتجاهات.

إرساء الحرية والتسامح

خلق الله تعالى هذا العالم بجميع ما فيه من بيض وسود وأغنياء وفقراء وكلهم أحرار،

^{٦٠} سورة فصلت، ٣٤-٣٥.

^{٦١} محمد السيد طنطاوي، المرجع السابق، ٤٠٧/٩.

^{٦٢} سورة البقرة، ٢٥١.

فكل إنسان في الأرض يولد حراً، وكل مضايقة ومعاملة فيها إكراه تتنافى مع هذه الحقيقة الفطرية، وقد نزلت سورة فيها بيان شاف عن حرية الإنسان حتى في مسألة اختيار الدين والعقيدة، يقول الله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) ^{٦٣} قد يظن أحد الناس أن في هذه السورة المكية تناقضاً، فكيف يأمر الله تعالى المسلمين بعبادة الله تعالى ويترك غيرهم بعبادة الأوثان وآلهة أخرى، أليس الإسلام هو الدين الحق الذي يجب دعوة الناس إليه؟ هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على ذروة التسامح والحرية في الإسلام، والحرية والتسامح هما أساس الدعوة الإسلامية. فالله تعالى أمر المسلمين بالدعوة ولكنه أيضاً يقول (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) ^{٦٤} وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة يطبقون هذه الطريقة بأحسن تطبيق مع اليهود والنصارى وسجّلها في دستور موثق يعرف فيما بعد باسم "وثيقة المدينة".

بناء الأمن والسلام

إن بناء الشعور بالأمن والسلام مهم لحل النزاع وللحفاظ من الوقوع فيه مرة أخرى، وهو يتمسك دائماً بقيم إسلامية أخرى، من أهمها العدل وإقامة الحقوق والحكمة والمساواة، فهذه أمور تكفل بتحقيق الأمن والسلام بين المجتمع، وبدون تلك القيم فإنه يصعب إيجاد الأمن والسلام، ويحتمل بعد ذلك وقوع النزاعات كثيراً، ولقد أمر الله تعالى لبناء الأمن والسلام أولاً بالدخول في الدين الإسلامي بالكافة، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

^{٦٣} سورة الكافرون، ٦-١.

^{٦٤} سورة الكهف، ٢٩.

ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين^{٦٥} كما أن الله تعالى يهدي للذين اصطفاهم إلى سلوك طريق السلام بعد أن يتبعوا تعاليم القرآن الكريم، فيقول تعالى (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)^{٦٦} أما القتال وحمل السلاح فليس ذلك طريقا لحل النزاع كما رسمه القرآن الكريم، ولذلك يقول تعالى (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَّمت صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)^{٦٧} أي وإن لم يمكن إلا أن يحدث القتال بين أعضاء المجتمع الواحد دفاعا عن النفس فطريق حل النزاع بالمصالحة والمسلمة مقدم قبل طريق حله بالعنف والقساوة، يقول الله تعالى (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)^{٦٨} أما إذا كان المسلمون خارج دائرة النزاع ثم طلب أحد الأطراف المتنازعة بهم فإنه يجب على المسلمين أن يتبعوا طريق السلم والسلام، وهذا قوله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ)^{٦٩}

^{٦٥} سورة البقرة: ٢٠٨.

^{٦٦} سورة المائدة، ١٦.

^{٦٧} سورة الحج، ٣٩-٤٠.

^{٦٨} سورة الأهل، ٦١.

^{٦٩} سورة التوبة، ٦.

الخاتمة

إن موضوع النزاع موضوع طويل وواسع يتسع بحسب الأبعاد والنطاق التي ينظر إليها الباحث، وهذه الورقة القصيرة محاولة بسيطة لاكتشاف موقف القرآن الكريم أمام ظاهرة التنازع ببيان دوافعه وطرق حله، ولأن البحث قصير والموضوع طويل، فلا أدعى -أنا كباحث- أن هذه الورقة قد اكتملت من جميع الوجوه، بل يحتاج هذا البحث في المستقبل للتكميل من بحوث عديدة وعميقة ومتأنية أخرى تكون أكثر تمثيلاً لموقف القرآن الكريم أمام أنواع النزاعات، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو نفسية أو غيرها. وأظن أني قد أتيت بتصور قرأني حول بعض أنواعها فقط، وهو النزاع الاجتماعي الديني.

ويحتمل في هذه الخاتمة أن أقول إن القرآن الكريم يعترف بوجود النزاع والصراع في وسط المجتمع عامة وفي المجتمع المتعدد الأديان والثقافات خاصة، والنزاع أو التنازع في القرآن الكريم وإن اعتبر وعُدّ من العوامل السلبية في المجتمع إلا أنه يعترف بأن النزاع والتنازع سنة من سنن الله تعالى في العالم، وذلك بناء على أن التنوع والاختلاف سنة الله تعالى في هذه الحياة. فقد حذر القرآن الكريم من هذا التنازع بالإشارة إلى دوافعه وأسبابه بطريق مباشر أو غير مباشر، وهذه الدوافع قد تكون كلية وعامة في جميع الناس وجميع المجتمعات وقد تكون جزئية تنشأ وتنبع من الدوافع الكلية. ويمكن أن يقال إن تلك الدوافع والأسباب توجد في مجتمع متحد وكذلك في مجتمع متعدد الأديان والثقافات كالمجتمع الإسلامي في المدينة المنورة بعد أن هجر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأما أنواع الحلول للنزاعات فقد عالج القرآن الكريم في آياته المكية والمدنية بتقديم وسائل لحلها، ولتحويلها إلى علاقة الود بين الأطراف المتنازعة، وقد بيّن القرآن الكريم أيضاً طرقاً أخرى لحفظ المجتمع من الوقوع في النزاع من أول الأمر والوقوع فيه مرة

أخرى، كما أن القرآن الكريم يرسي ويؤيد تلك الحلول عند ما كان المسلمون في المدينة المنورة حيث فيها التعدد والتنوع في الأديان بعد أن بيّنها في الآيات والسور المكية. والجدير بالملاحظة هو أن القرآن الكريم يبتعد كل الابتعاد عن استخدام العنف والقساوة في حل النزاعات وفض الصراعات، بل قد يكون موقف القرآن الكريم موقفاً منفتحا للحق والصواب، ويكون طريقه فيه سلمياً حراً بعيداً عن الإكراه والتصرف العنيف.[]

المراجع

- القرآن الكريم.
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار النشر، تونس، ١٩٨٧.
- أبو الحسين مسلم بن مسلم، الجامع الصحيح، دار الجيل بيروت، بدون سنة.
- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٧.
- زياد الصمادي، حل النزاع، جامعة السلام التابعة للأمم المتحدة، الأردن، ٢٠١٠.
- شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- عبد الحي الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي، مطبعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٧.
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مكتبة الأسرة، القاهرة.
- محمد السيد طنطاوي، التفسير الوسيط، مكتبة الأزهر، القاهرة، ١٩٩٩.
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧.

- محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٥.
- محمد عبده، تفسير المنار، طبعة دار المنار، القاهرة، ١٩٤٧.
- محمد عمارة، هل الإسلام هو الحل، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.
- منير البعلبكي، قاموس المورد إنجليزي-عربي، دار الملايين، بيروت، ١٩٧٠.
- منير محمود بدوي، مفهوم الصراع، مجلة دراسات مستقبلية، عدد ٣، أسبوط، مصر، ١٩٩٧.
- يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٠.
- Hargrove, Barbara, *The Sociology of Religion; Classical and Contemporary Approaches*, Illinois, 1997.
- Johan Efendi, "Dialog Antar Umat Beragama, Bisakah Melahirkan Teologi Kerukunan", *Prisma*, No. 5 June 1978, Jakarta: LP3ES.
- Kirazli, Sadik, *Conflict and Conflict Resolutions in the Pre-Islamic Arab Society*, Journal Islami Studies, Vol. 50, No. 1, 2011.
- Moleong, Lexy J., *Metodologi Penelitian Kualitatif*, Bandung: Remaja Rosdakarya, 2002.
- Nottingham, Elizabeth K., *Religion and Society*, Jakarta: Rajawali Press, 1992.
- O`dea, Thomas F., *The Sociology of Religion*, Jakarta: Rajawali Press, 1990.
- Ritzer, George & J. Michael Ryan (eds.), *The Concise Encyclopedia of Sosiology*, Blackwell Publishing, UK, 2011,
- Wallace, Ruth A. & Alison Wolf, *Contemporary Sociological Theory*, Prentice-Hall, USA, 1995.